

## الإسلامية الأدبية المعاصرة - الشاعر حكمت صالح أنموذجاً

الدكتور صالح محمد عبد الله العبيدي\*

### ملخص البحث

سعيًا منذ فترة ليست بالطويلة إلى قراءة الخطاب الأدبي الإسلامي قراءة نقدية جادة وموضوعية إلى حد ما عبر سلسلة من البحوث النظرية التي تطرقنا من خلالها إلى محاور معرفية متنوعة، فاستطعنا من خلالها أن ندرك أن هذا الخطاب يحتاج إلى مزيد من الفحص والمراجعات النقدية، إذ ما تزال الرؤى والتصورات الصادرة عنه غير مكتملة، وغير ناضجة إلى درجة الوضوح أو الصدق الفني، فضلاً عن أن التمثلات الفكرية والأدبية الناطقة بإسمه ما تزال إلى الآن تغالط نفسها على المستويين المفهومي والمنهجي.

إن ما يكتنف هذا الخطاب من إشكالات معرفية ليس من السهولة تجاهله أو تجاوزه ما دامت اللغة الناطقة بإسمه ذات فحوى شعاري خطابي لا تؤسس لذاتها، وإنما نظرها ولأيديولوجية التي توجهها، إن أهم ما يمكن فعله في تصحيح مسار العملية الانتاجية لهذا الأدب هو أن نتكلم بلغة تعي ذاتها وتتمثل المحمولات الذهنية والعاطفية التي تصوغها على شكل خطاب، بحيث يكون مجال التعبير والقصد زائداً مجال الدلالة محكوماً بالوعي الأدبي ومدعوماً بتوجه عقلائي يؤسس لمعرفة موثوقة، ومتداولة تتأى عن التعالي والمثالية، وتحاول إن تغور في أعماق الواقع الذي تعبر عنه، فهي بذلك تحترم وظيفتها الأدبية، وتحافظ على تماسكها البنائي والأيديولوجي. كما أنها تقدر موقف القارئ فتشركه في عمليات تدعيم الفعل الإبداعي عبر تنويع مجالات القصد، والاتساع الدلالي، وانفساح الدليل عبر التأويل.

ولعلنا في هذا البحث المعنون بـ "الإسلامية الأدبية المعاصرة - الشاعر حكمت صالح أنموذجاً" حاولنا إخضاع الخطاب الأدبي الإسلامي - الخطاب الشعري تحديداً - إلى معالجة نقدية من نوع آخر إنها المعالجة التطبيقية، ولم نقنصر على المراجعة النقدية النظرية كما هو الحال في البحوث السابقة، فكانت قصيدة "تكبيرة الإحرام" إحدى قصائد "ديوان حي على الفلاح" للشاعر

\* مدرس / كلية التربية / قسم اللغة العربية

دراسات موصلية - العدد السادس عشر - ربيع الثاني ١٤٢٨هـ / آيار ٢٠٠٧م

حكمت صالح تشكل منطلقاً، وحافزاً تحليلياً خصوصاً على المستوى النفسي والإحساسي، كونها تصعيد روحي وذوقي لعمل الحواس، واستجابتها للمؤثرات العبادية الصوتية تحديداً، والمتمثلة ببناء التكبير للصلاة، فضلاً عن الأداء الحركي المتمثل برفع الكفين.

يبقى أن نقول أن الشاعر حكمت صالح غني عن التعريف، فقد شهد له الكثيرون - النقاد والأدباء - من العراق وخارجه بالبراعة الشعرية والقدرة الفنية على تمثيل المضامين الشعرية في صورة نماذج مؤثرة مختزلة متعددة الأشكال. وأتصور أن شعره يحتاج إلى مزيد من الاهتمام والدراسة، وأن لا تقتصر شهرته على الأوساط المثقفة فحسب.

### Abstract

The research is a psychological study of the elements of sound sense and prayer movements. It tackles the poem within the analytic level from Hikmet Salih s collection : come to your Goodness. The poem .is called "Takbeerat al Ihram"

The research is entitled contemporary literary Islamism : Hikmet Salih s "Takbeerat al Ihram" as an Example. It is divided into two axes.

The first axis is theoretical. It determines the concept of literary Islamism and the most important epistemological problem it encounters. Besides, it includes the poet s biography and his literary and critical achievements.

The second axis is acritical analysis of the poetic text in which it excretes the poet s ability of depiction and skill of the poetic vision at picking what affects .the level of meaning and signification

### أولاً : مدخل نظري :

هذا البحث يعد ضرباً من القراءة النقدية والمعرفية للخطابات المتصفة بصفة الإسلامية، وهو يأتي مكملاً لرؤيتنا النقدية ومعالجاتنا الاستكشافية والتقييمية التي مارسناها من خلال سلسلة من البحوث والدراسات حول الأدب الإسلامي<sup>١</sup>، والشعر الإسلامي تحديداً، كونه يستحوذ على مساحة واسعة تمتد من عصر الرسالة الأول مروراً بالعصور الوسطى وصولاً إلى العصر الحديث والفترة المعاصرة كذلك.

لكن هذا البحث يختلف عن تلك البحوث بوصفه ذا منحنى تطبيقي تحليلي لإنموذج شعري إسلامي معاصر، ولم يستحوذ الجانب النظري إلا على مساحة صغيرة منه بخلاف البحوث السابقة التي تميزت بالدراسة النظرية المحضة .

وندرک أن القراءة النقدية مفيدة وبدرجة عالية خصوصاً عندما تشتغل على الخطابات الدينية أو بكيفية عامة التراثية، كون هذه الخطابات محملة بهموم أيديولوجية باللغة التعقيد والتداخل فضلاً عن الإشكالات المعرفية التي تحتاج إلى مراجعة وفحص دقيقين وعميقين قبل إصدار أي حكم عليها، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن القراءة النقدية ربما تكون الوحيدة القادرة على تشخيص الملامح المعرفية بطريقة علمية فنية موضوعية، فتتأى بنفسها عن السقوط في محيط الإنحياز، والمغالطات المفهومية والمنهجية.

ولعل من البدهي القول أن كل دارس لخطاب الأدب الإسلامي سيجد نفسه - مختاراً أو مضطراً - وجهاً لوجه مع سلسلة من الإشكالات المعرفية التي ما تزال إلى الآن محل خلاف بين الباحثين والمنظرين للأدب الإسلامي، إذ نجد هولاء وبمختلف مشاربهم القومية ومنطلقاتهم الفكرية والنقدية منشقين فيما بينهم، ما بين مؤيد للأصالة التراثية، وآخر داعٍ إلى الإحياء الماضي بالمعنى التوافقي، والتمازجي بين الماضي والحاضر ابتغاء للإصلاح. وفئة ثالثة تدعو إلى التجديد بالمعنى الجذري والشمولي لتحقيق مفهوم المعاصرة والعصرنة، وإن أدى ذلك إلى التقاطع مع التراث أو رفضه في صورته المفهومية الماضوية، والآن ظهر اتجاه يحاول التوفيق لانتاج معنى التكمال والتواصل بين الماضي والحاضر بحيث نحافظ على اللهب الذي أوقده الماضي لإذكاء شعلة الحاضر كي يتغير باستمرار. وتصور أن هذا الاتجاه قد حاز على نسبة عالية من التأييد من قبل نقاد ومنظرين لهم مكانتهم المرموقة في الساحة الأدبية والنقدية الإسلامية، من أمثال دكتور عماد الدين خليل ومحمد إقبال عروي ونجيب كيلاني وغيرهم.

قلنا أن هناك إشكالات معرفية على صعيد العمل النظري والتطبيقي، وتتجلى هذه الإشكالات بصورة ثنائيات، وثلاثيات متضادة تتصادم وتتقادم كلما جرى الحديث عن دمجها أو التوفيق بينها، ولم يدرك منظرو الأدب الإسلامي مدى أهميتها وخطورتها إلا في العقود الأخيرة من القرن العشرين، فاندفعوا كلٌّ من زاويته، ومنطلقه الفكري والأدبي إلى مناقشتها مناقشة سطحية غير واعية أو منضبطة عند البعض، وما بين مناقشة جادة وعلمية وموضوعية إلى حدود معينة عند البعض الآخر.

ورغم ذلك فإن المشكل المعرفي أخذ بالتفاقم والانتساع خصوصاً عند جماعة العقل التراثي مما أوقع الكثرة الكاثرة منهم في حقل "المفارقة أو المغالطة المنطقية" عندما تصوروا أن هذه الإشكالات لا تناقش ولا تعالج إلا من منظور تراثي محض، دون أن يدركوا أن هذه الإشكالات المعرفية أول ما تجلت حين حصل التصادم بين المنظور التراثي مع الحدائثي، مما يعني بدهاءة أن زاوية المعالجة يجب أن تكون مرنة وواعية وموضوعية. وإلا فإن عملية التصادم المعرفي بلا محددات معرفية وأدوات فكرية فاهمة ومتفهمة لطبيعة ما يجري على أرض الواقع ستؤول إلى مزيد من التشتت والتمزق واللاجدوى والوهم.

وفعالاً فقد أفرزت النقاشات والدراسات المتنوعة والواسعة حول الأدب الاسلامي منظورات محددة ومقننة بمفاهيم انحيازية ذات إطار محلي أو قومي ونادراً ما كانت المنظورات الإقليمية أو إنسانية تأخذ بنظر الحسبان عملية التواصل والتناقص المعرفي بين عموم الملفوظات الأدبية اسلامية كانت أم غير إسلامية.

إن غياب الخطاب النقدي والفلسفي والمنهاج العلمي والنظرية الأدبية أدت جميعاً إلى استفحال الإشكالات المعرفية، وهذه الأخيرة بدورها دفعت إلى رفض كل ما هو جديد، أو على العكس دعت آخرين إلى رفض كل ما هو قديم، فيما بقي البعض الآخر متخبطاً بينهما، ما بين مؤيد لهذا ومتنزع للآخر وما بين ممازج لهما بصورة قد تدعو للسخرية والاندھاش.

والآن نتصور أن الضرورة البحثية تدفعنا للحديث عن هذه الإشكالات المعرفية التي نجملها على النحو الآتي :

١- الإشكال المفهومي والإصطلاحي : بمعنى هل المقصود من مصطلح "الأدب الاسلامي" أدب المسلم بالمعنى الديني، أم أدب غيره من الأدباء المتساوق معه من حيث الفكرة والرؤية ولكن صاحبه غير مسلم ؟. ثم هل إن لفظة "إسلامي" صفة للموضوع أم للذات ؟.

٢- إشكال الشكل والمضمون : بمعنى هل الأدب الاسلامي أدب مضموني هادف وملتزم أم أدب شكلي يركز على جماليات القول بشرط أن لا تتعارض مع المضمون ؟، وهل يشترط في المضمون أن يكون وعظياً مباشراً أم أدبياً إيحائياً ؟، ثم هل آليات الشكل الانتاجية تابعة للمفاهيم الاسلامية أم يجوز الاستعارة من المدونات والمنهجيات الغربية ؟.

٣- إشكال الانتماء التاريخي للأدب الإسلامي : بمعنى هل الأدب الاسلامي هو نتاج عصر الرسالة الأول ممثلاً بحسان بن ثابت، وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة أم هو نتاج العصر

العباسي كما يدعى البعض من الدارسين<sup>(١)</sup>. أم أنه نتاج العصر الحديث، أم هو نتاج كل العصور. أم أنه لم يتأسس بعد بحسب المقاييس الاسلامية المحضة ؟.

٤- إشكال الإبداع والدين : فالإبداع كما هو معلوم يحمل صفة التحرر والتأسيس الجديد والإنطلاق بلا قيود ايديولوجية في حين أن المعيار الديني يضفي على الأدب صفة الإلتزام وكذلك الإلزام، فكيف يمكن التوفيق بينهما فيكون الأدب الاسلامي أدباً ابداعياً وهو يتحرك رؤيويماً في ضوء المعيار الديني ؟ وهذا بدوره يدفعنا إلى التساؤل الآتي : هل أن النص زائداً الوعي الأدبي هما من يحددان المقاصد والدلالات الأدبية بعيداً عن أي مؤثر خارجي أم أن الوعي الديني والاسلامي تحديداً هو من يوجه النص تبعاً لمقاصده وتوجهاته الدينية ؟.

٥- الإشكال المنهجي : وهذا الإشكال يطرح سؤالاً منهجياً لا مفر من مواجهته ومناقشته، وهو هل الادب الاسلامي نتاج منهج أدبي اسلامي، أم أنه يتحرك شكلياً ورؤيويماً من منظورات منهجية يعدها البعض مخالفة وانحرافاً؟.

في تصوري أن الذين ينتجون الأدب الإسلامي يتوهمون بأنهم ينتجون أدباً بمقاييس إسلامية محضة، في حين أنهم ومن حيث لا يشعرون يسقطون معايير ورؤى وتصورات منهجية غربية على النصوص الأدبية الاسلامية، ذلك أن منظري الأدب الاسلامي لم يحققوا - رغم جهودهم الحثيثة - نظرية اسلامية أدبية يستطيع الأديب أو الناقد المسلم التحرك والاسترشاد والتحليل في ضوء مسلماتها الفكرية والمنهجية.

ولعلنا نسمع أصواتاً تتعالى وتصرخ معلنة رفضها القاطع لأية معايير منهجية غربية في حين أنها تمارس عملياً محاكاة التراث وتحليله من خلال هذه المعايير ذاتها.

أتصور - وهذا رأي شخصي - أنه أن الأوان كي تنفتح هذه العقول المعارضة والمعرقله لمسيرة التقدم العلمي، وأن تدرك ادراكاً يقينياً أن عملية التواصل المعرفي على مستوى الأدوات، والمناهج، والآليات الانتاجية، وكل ما يتعلق بتقنيات الشكل الأدبي هي عملية متاحة لكل الانسانية وليست حكراً على عقل معين حتى وإن كان هو مبدعها، ذلك أن ابداعه لها لم يتم من فراغ، وانما من خلال عملية تواصل معرفي وثقافي من نوع آخر، وأن القيم والمبادئ العليا لا يمكن لها أن تذوي وتموت بمجرد إخضاعها لآليات النقد الحديثة الصارمة والعلمية والموضوعية كونها تكسبها قوة وعمقا، واستطالة دلالية وتأويلية تجعل القارئ يقتنع بمصداقيتها ويشارك في انتاجها من جديد ما دامت تحرك ذهنه كي يتسلح معرفياً، وتذكي عاطفته كي يتحسس مكامن

الإبداع فيها. وخلاف ذلك فإن مجال التداول والتعاون سوف يتضاءل إلى مديات خطيرة قد تطيح بعملية التواصل والتلقي برمتها، فتبقى محكياتنا الأدبية مجرد شعارات طنانة لا طائل منها ما دامت تدعو إلى تصدع المعرفة بالمعنى التقني واستقالة العقل.

### ثانياً : الإسلامية الأدبية المعاصرة (المفهوم والمصطلح) :

الإسلامية الأدبية ليست مذهباً أدبياً أو فلسفياً كالواقعية والرومانسية والوجودية والبرناسية كما يقرر ذلك دكتور نجيب كيلاني<sup>(٢)</sup> بل هي مصطلح نقدي يطلق على الانتاجات الأدبية الإسلامية رؤية وابداعاً، عقيدة، وفناً<sup>(٣)</sup> بكلمة أخرى فإن الإسلامية الأدبية تمثل رؤية الأديب المتأثرة بالإسلام منعكسة بشكل فني وابداعي في عموم ملفوظه الأدبي. بحيث يكون هذا الأخير معبراً عن تصور شمولي متسامح مع الكون والحياة والانسان. وربما يكون هذا التعريف منطلقاً من التصور العام للثقافة الإسلامية بوصفها معرفة عملية مكتسبة تتطوي على جانب معياري مستمد من شريعة الإسلام ومؤسس على عقيدته، وتتجلى في سلوك الإنسان الواعي في تعامله في الحياة الاجتماعية مع الوجود<sup>(٤)</sup>.

والإسلامية الأدبية بوصفها رؤية ومنهجاً تؤسس لمفهوم الجمال الفني وصولاً إلى تحقيق تصور واضح للجمالية الإسلامية، ذلك أن الجمال الفني بالمعنى الإسلامي ليس فكرة محدودة المحتوى تبحث عن شكل، ولا هو معنى تجريدي وانما هو حال وذوق وتجربة روحية متوهجة يعبر عنها اللسان بلفظ التسييح أو بتنزيه الله وذكره، فالجمال ليس تناسق الشكل في ذاته وانما هو الشكل من حيث كونه انعكاساً لنور الله وابداعاً لقدرته الخالقة<sup>(٥)</sup>.

فالإسلام برؤيته الشاملة ومنهجه المتماسك، وشريعته السمحة قادر وبقوة على أن يؤسس نظرية متكاملة جمالية أدبية تعمل على إمداد الفنان المسلم بما يحتاجه من رؤى ووسائل فنية، ذلك أن الفنان المسلم من خلال حركته في ضوء مفهوم الإسلامية قادر على أن يقضي على الخوف والشك والتردد، تلك المشاعر التي تستبد بنفس الإنسان إزاء المتغير وإزاء المجهول، وأن يحل محلها مشاعر الطمأنينة والسكينة<sup>(٦)</sup>.

ونتصور أن الإسلامية الأدبية يترتب عليها أن تكون أكثر انفتاحاً، وأن تتأى بنفسها عن التصورات المغلقة والرؤى الإحادية، فنحن بقدر حاجتنا إلى تراثنا القديم نحن بحاجة إلى الجديد، ومن ثم العمل - بكل بصيرة وحذر - على صهرها في بوتقة واحدة لإنتاج أعمال شعرية تخرج أدبنا العربي من دوائر السقوط ومحيطات التقوقع.. إن الانفتاح على العالم والحياة هو السبيل

الوحيد الذي يكفل لاتجاهاتنا الجديدة التعبير عن تجاربنا الحياتية المعاصرة.. ولا مانع لأدبنا الاسلامي المعاصر من الاستفادة من الرمزية وحتى السريالية في قولها وطريقة طرحها للمضامين<sup>(٧)</sup>.

فنحن اليوم أمام هذا التطور الهائل في المناهج والتقنيات والتصورات، وعالم الالكترون والمعلوماتية بحيث تعددت وسائل نقل الأدب، وتتنوعت، مجالات التلقي، مطالبون بأن نحدّث وسائلنا وطرق عرضنا لنتاجاتنا الأدبية، وأن لا يقتصر تقديم المحتوى الشعري عبر تقنية عمود الشعر فحسب بل هناك شعر التفعيلة والقصيدة المنثورة، فضلاً عن المسرح الشعري. وهناك أيضاً أدب الطفل الذي بدأ يتبلور حديثاً كنتاج أدبي، وان كان محدوداً، لكن هناك دراسات أهتمت به كدراسة الأدبية الجزائرية لطيفة عثمان التي قدمتها في مؤتمر القاهرة الدولي للأدبيات المسلمات الذي يعالج أدب المرأة برؤية إسلامية. كما تناولت الناقدة المغربية دكتورة سعاد الناصر قضية واقع أدب المرأة في العالم العربي، كما تناولت الشاعرة السعودية انصاف علي نجاري الأدب الاسلامي من حيث مفهومه ورسالته، فيما أكدت الناقدة الجزائرية آمال لواتي على الخصوصية التي ينفرد بها الأدب الاسلامي في رؤيته للمرأة والذي يعكس منظورين : أولهما أخلاقي او الثاني وجداني وذلك في بحثها الموسوم "صورة المرأة في الأدب الاسلامي المعاصر"<sup>(٨)</sup>.

نريد أن نقول أن هناك جهودا بحثية متواصلة من كلا الجنسين رجالا ونساءً من أجل تحقيق شمولية الرؤيا وتعدد الموضوعات المتناولة، والغرض منها السير بهذا الأدب قدما كي يحوز على مكانة مرموقة يعيد بها القيمة للثابت والجوهري في عالم يعج بالمتغيرات والهامشيات.

ولعل الدكتور عماد الدين خليل قد قدم تصوراً نوعياً لمسار العملية الشعرية في العصر الحديث نجملها على النحو الآتي:<sup>(٩)</sup>

١- فإننا لو مضينا مسرعين في بحر الزمن وخلفنا وراءنا العقود والقرون، فإننا سنجد أنفسنا أمام تيار متدفق من العطاء الشعري الاسلامي الملتزم الذي ينأى عن التقريرية والمباشرة، ويعبر عن قيم الاسلام وآفاقه بعمق وعفوية.

٢- وبمرور الزمن يتحرر الشعر الإسلامي من رواسب البدايات الجاهلية شكلاً ومضموناً، كما يكتسب خبرة ومرونة وطول نفس، وتجد العملية الشعرية نفسها أكثر قدرة على الحركة والامتداد بما منحه الزمن إياها عبر نموها الدينامي.

٣- إذا كنا في العقود الأولى من القرن الماضي لا نكاد نعثر إلا على لمحات مبعثرة هنا وهناك، فإننا في القرون التالية نجد أنفسنا في بحر من العطاء الشعري.. إن عشرات، بل مئات من الدواوين الشعرية المجموعة أو المتفرقة في تواريخ الأدب وكتب النقد والموازنة لانكاد نقلب صفحاتها حتى نقع أعيننا على مجموعة من القصائد مما يمكن أن ندرجه تحت مصطلح الشعر الإسلامي، ذلك الذي يصدر عن رؤية إسلامية أصيلة. إن الرؤية التي صنعها الإسلام قادرة على أن تتناول الشعر وتقدمه في صور مختلفة وهذا فعلاً ما قام به الأدب الإسلامي المعاصر المتدفق كالسيل.

ونحن كلنا أمل وتفاؤل أن هناك أدباً إسلامياً معاصراً واعياً مستمداً من التوجه الإسلامي الصحيح لن يمر على هذه الأشواك، وسيمد جسوره مع الواقع والحياة على أعمدة التوحيد والعقلانية المسلمة والواقعية الإيجابية والاخلاقية القائمة على ثبات القيم ومرونة الاجتهاد في تفسيرها وتنفيذها، والتوازنية في النظر إلى قوى الإنسان الداخلية<sup>(١٠)</sup>.

كما يترتب على الإسلامية الأدبية المعاصرة أن تتخلص وبسرعة من بعض التصورات التعميمية غير المدروسة والتي يسكنها هاجس الخوف والتبعية للآخر من شاكلة قول بعضهم أن المذاهب الأدبية الغربية وبلا استثناء تخالف مزاجنا النفسي وعقيدتنا وقيمنا ذلك أن هذه المذاهب مرتبطة دائماً بالبيئة والعقيدة<sup>(١١)</sup>، ذلك أن عملية التواصل المعرفي لا تعني بأي حال من الأحوال الانسلاخ عن الثوابت وإنما تعزيزها وتقويتها كي تكون قادرة على أن تكون مواكبة لروح العصر ومتغلغلة في كل جزئية من جزئياته، وفاهمة لكل اشكالاته، مما يعني أنها ستكون مسلحة بمعرفة متكاملة تعينها في الدفاع عن ذاتها في حين تعرضت للنقد والاستبعاد.

من جهة أخرى فنحن نحترم الطروحات الجادة التي تشخص مكامن الاشكاليات في الأدب الإسلامي المعاصر، مثل قول الباحثة الجزائرية آمال لواتي : بأنه يوجد فراغ كبير فيما نسميه بالأدب الإسلامي وعدم وضوح حدود هذا الأدب في الساحة الأدبية المعاصرة إصطلاحاً وإبداعاً ونقداً<sup>(١٢)</sup>.



وكذلك تشخيص بعضهم الذين يؤكدون على كثافة "المضموني" وضعف "الفني" في التجارب الأدبية الإسلامية المعاصرة، وهي سلبية خطيرة يشعر بها كل متعامل مع الأدب الإسلامي المعاصر دراسة ونقداً، حيث يقف الغنى المعنوي في وجه الفقر الفني ليخلق وضعيه متباينة في الوقت الراهن، وسلطة على النماذج المستقبلية إذ تعتبر هذه التجارب الحاضرة النموذج والمثال الذي يجب أن يُحتذى، ولعل المتعاملين مع الرسائل والانتاجات الأدبية في المجالات الإسلامية يدركون هذه الحقيقة المتجذرة في نفوس الجيل الراهن (١٣).

إن أهم ما نحتاجه اليوم، باختصار هو توسيع آفاق المعنى، شرط أن يكون هذا التوسع مبنياً على الرؤية الموضوعية، فنقدم للوجود تراثاً حياً وأصيلاً يحررنا ويدفعنا إلى الأمام، وسيساعدنا في مهمتنا هذه أن الدين الإسلامي دين حياة وعمل (١٤).

### ثالثاً: السيرة الذاتية والأدبية للشاعر الدكتور حكمت صالح :

- \* الدكتور حكمت صالح جرجيس السيّد وهب الرفاعي الحسيني.
- \* من مواليد الموصل بالعراق: ١١/٤/١٣٦٥هـ - ١٤/٣/١٩٤٦م
- \* أنهى فيها دراسته: (الابتدائية، المتوسطة، الإعدادية، الجامعية، العليا).
- \* تخرّج في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٧٠م.
- \* أوفد؛ مع البعثة التدريسية العراقية؛ إلى الجزائر للمشاركة في حملة التعريب فاستقرّ في المعهد التكنولوجي بالمحمدية (وهران) ٧٠-١٩٧٢م.
- \* شارك بنشاطه الأدبي في الصحافة والإذاعة والأماسي.
- \* عاد بعدها إلى العراق ليواصل عمله مدرساً للغة العربية والتربية الإسلامية على مدى ربع قرن.
- \* ثمّ واصل دراسته العليا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الموصل، أيلول ١٩٩٤م؛ وحصل على الماجستير؛ عن رسالته الموسومة "الصورة البيانية في شعر عبد الله البردوني" تموز ١٩٩٧م.
- \* أكمل دراسته في الكلية ذاتها؛ فحصل على الدكتوراه بدرجة امتياز؛ عن أطروحته: "جماليات الحركة التصويرية في القرآن الكريم"، [المناقشة: ١٤/٣/٢٠٠٢م].
- \* مارس التدريس بمعهد إعداد معلّّات نينوى (قسم: التربية الإسلامية) في ٤/٥/٢٠٠٢.
- \* رأس تحرير مجلة (البراق) للأدب الإسلامي، وصاحب امتيازها.

- \* أقام معرضين لنتاجاته الأدبية ودراساته (جامعة الموصل: نيسان ٧٤، نيسان ١٩٩٥م).
- \* نشر في الصحف والمجلات العراقية والعربية:
- \* له أكثر من ٥٠ كتاباً [ بضمنها (١٧) ديواناً شعرياً ] بين منشور ومُعَدَّ للنشر ومخطوط.
- \* شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الأدبية والمهرجانات الشعرية داخل الشعريّة العراق وخارجه.
- \* كُتِبَ أكثر من ثمانين دراسة وبحثاً وشهادة في إبداعه الشعري ودراساته الأدبية؛ شارك فيها أكثر من ستين ناقداً وأستاذاً جامعياً وطلبة الدراسات العليا في العراق والوطن العربي؛ تصدر تباعاً ضمن سلسلة (في موكب شعراء الإسلام)، عن منشورات (البراق) الثقافية.
- عضو اتحاد الأدباء في العراق.
- عضو اتحاد الأدباء العرب/ دمشق.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض.
- عضو رابطة العلماء في العراق.
- عضو جمعية الآداب الإسلامية في العراق.
- \* له مجموعة من الكتب والدراسات الأدبية والنقدية المطبوعة.

#### رابعاً: المجال التطبيقي : سيكولوجيا الاحساس في خطاب «تكبيره الاحرام» الشعري :

نصّ القصيدة<sup>(١٥)</sup> :

(( وَأَرْفَعُ الْكَفَيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ [١]  
تَتَعَلَّقُ الْأَبْوَابُ دُونَ الْعَالَمِ الْمَرْتَبِيِّ ..  
تَقْفَلُ الشِّفَاهُ... لَا كَلَامَ [٢]  
يُسْرَعُ الْمَحْرَابُ نَحْوَ الْقِبْلَةِ ..  
النَّوَافِذُ الْمُرْجَاةُ [٣]  
بِزَحْمَةِ الْهَوَاجِسِ اللَّطَافِ ..  
بِنَدْفَاةِ الْمَشَاعِرِ الرُّوحِيَّةِ [٤]  
تَقْدِفُهَا الْمَشْكَاةُ .. [٥]  
بَوْمَضَةٍ ائْتَلَقَ [٦]  
بِسَحْنَةٍ تَمَوجُ الْأَهْدَابُ ...

فِي اخْتِلَاجَةِ الْإِشْرَاقِ [٧].  
 وَيَهْدُرُ التَّرْتِيلُ فِي الْأُرُوقَةِ الْمُبَارَكَةِ [٨]  
 فَتَشْرَيْبُ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ مَكْمَنِ الْمَسَامَةِ الْمُقْفَاةِ [٩]  
 بِهَامِشِ الْجِسْمِ الَّذِي اجْتَاخَتْهُ قَشَعْرِيرَةٌ  
 فَعَلَقَتْ مَسَالِكَةَ [١٠].  
 وَأَصْبَحَ الْخَلْقُ الرَّمَانِيُّ جَنَاحًا  
 يَرْتَقِي مَمَالِكَةَ [١١]  
 بِصُحْبَةِ الْمَلَائِكَةِ ! [١٢].  
 تُسَبِّحُ الْعُرُوقُ بِاسْمِ اللَّهِ  
 وَالنَّوَاشِرُ الْعَمِيقَةُ الْمَجْرَى [١٣]  
 فِي دَاخِلِ الصَّدْرِ الَّذِي يَعْتَشِقُ ذِكْرَ اللَّهِ  
 فِي هِدَاةِ لَيْلٍ..  
 يَصِلُ الرُّكُوعُ بِالسُّجُودِ  
 وَالصَّلَاةُ بِالصَّلَاةِ [١٤]  
 يُعَاوِدُ الدُّعَاءَ..  
 أَوْ يُرَدِّدُ الذِّكْرَ [١٥]  
 وَيَشْرَبُ الصَّفَاءَ صَرِيفًا  
 فِي كُؤُوسِ الْعَارِفِينَ [١٦]  
 يَسْتَوْعِبُ الْمَعَانِي الْكَلْبِيَّةَ [١٧]  
 بِغَمْضَةِ الْعَيْنَيْنِ.. أَوْ بِرَعَشَةِ الْجَفُونِ [١٨].  
 فِي سَامِرِ الْحَقَائِقِ الْعُلُوبِيَّةِ [١٩]  
 تُقِيمُ فِي أَنْفَالَتِهِ الْأَمَادِ..  
 أَعْرَاسَ التَّسَابِيحِ الْإِلَهِيَّةِ [٢٠].  
 تَجْتَاخُنَا فِي مَطْلَعِ الْمَقَاطِعِ أَنْدِهَاشَةً حَيْرَى [٢١]  
 وَتَارَةً أُخْرَى [٢٢]  
 لَذَائِدِ الذُّؤُبِ بِوَهْجِ الشُّوقِ  
 فِي ضَوْءِ الْمَصَابِيحِ السَّمَاوِيَّةِ [٢٣]



تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ [٢٤]

لَيْسَتْ سِوَى تَلْوِيحَةِ الْوَدَاعِ

لِلْعَوَالِمِ السُّفْلِيَّةِ [٢٥]

وَالْجَهْرُ بِالْحَمْدِ جَوَازُ السَّفَرِ الْبَعِيدِ [٢٦]

أَقْمَارُهُ تَشْرُدُ مِنْ مَدَارِهَا

تَغُورُ فِي الْأَعْمَاقِ..

فِي السَّدِيمِ..

فِي الْوُجُودِ [٢٧]

فَيَصْنَعُ الزَّمَانَ فِي فُسْحَتِهَا الْمَكَانَ [٢٨].

يَا صَحْوَةَ الضَّمِيرِ [٢٩]

يَا وَقْدَةَ الذَّهْنِ اتْرُكِي مَرْكَبِي الصَّغِيرِ [٣٠]

يَمْخُرُ فِي أَسْرَعَةِ النَّشْوَةِ

خَلْفَ سَاحِلِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ [٣١].



وَأَرْفَعُ الْكَفَيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ [٣٢]

فَقَدْ أَرَى مِنْ حَوْلِ (إِبْرَاهِيمَ)..

تَذْكُو جَدْوَةَ النَّيْرَانِ [٣٣]

فَيُرْسِلُ الْعَيْنَيْنِ [٣٤]

بِدِفءِ دَمْعَيْنِ [٣٥]

وَيَغْسِلُ الْخَدَيْنِ [٣٦]

بِحُمْرَةٍ..

تَخْتَرِلُ اللَّوْنَ مِنَ اللَّهْيَبِ

وَالْأَلْسِنَةَ الْمَعَانِدَةَ [٣٧]

يَانَارُ: كُونِي بَارِدَةً [٣٨]

يَانَارُ: كُونِي بَارِدَةً [٣٩]

فَالْمُؤْمِنُونَ...

يُحْرَقُونَ...

فِي السُّجُونِ! [٤٠].  
 وَتَفَقَّ الْعُيُونُ [٤١]  
 تِلْكَ الَّتِي تَذْرِفُ دَمْعًا فِي الصَّلَاةِ [٤٢]  
 لِأَنَّهَا مَا فَتَنَتْ تَذَكُرُ اسْمَ اللَّهِ [٤٣].  
 ❁❁❁  
 وَأَرْفَعُ الْكَفَّيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ [٤٤]  
 فَقَدْ أَرَى الْوَّاحِ (مُوسَى)  
 يَا لَتِلْكَ اللَّحْظَةِ الْعَصْمَاءِ! [٤٥]  
 بِجَانِبِ الطُّورِ سَيُولُ الْفَرْحَةَ الْعُظْمَى...  
 تَتَّجِي الرَّبَّ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [٤٦].  
 أَمْدُ كَفِّي إِلَيْكَ سَيِّدِي...  
 إِلَى الْيَدِ الْبَيْضَاءِ [٤٧]  
 أُعَانِقُ الْأَطْرَافَ مِنْهَا غَبِيطَةً...  
 تَمْتَحِنِي مَنَاعَةَ الْإِقْدَامِ [٤٨]  
 تُعِينِنِي عَلَى امْتِطَاءِ صَهْوَةِ الْمَضَاءِ [٤٨]  
 تَسْحَدُ فِي الْعَرَمِ سَيْفًا...  
 حَذُّهُ يَسْتَأْصِلُ الظَّلَامَ [٥٠].  
 فَقَدْ عَلَا (فِرْعَوْنُ)...  
 شَادَ الصَّرْحَ فَوْقَ بُرْكَةِ الدَّمَاءِ [٥١]  
 وَاللَّهْتَهُ ثَلَاثَةَ النَّفَاقِ.. وَالرِّيَاءِ [٥٢].  
 وَالْمُدُنِ الْمُهَادِنَةَ [٥٣]  
 تَبْتَرُّهَا عَصَابَةُ الشُّذَازِ..  
 وَالْقُطَاعِ..  
 وَالْقَرَاصِنَةَ [٥٤]  
 لِأَنَّهَا لَمْ تَرْفَعِ احْتِجَاجَهَا أَوْ شَارَةَ الْخَطَرَ [٥٥]  
 وَلَمْ تَقُلْ (( لا )) لِفِرْعَوْنَ..  
 وَلَمْ تَنْتُرْ [٥٦]

فَذَبُّوا الْأَبْنَاءَ [٥٧]

وَأَسْتَحْيُوا النِّسَاءَ [٥٨].



وَأَرْفَعُ الْكَفَّيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ [٥٩]

..

فَقَدْ أَرَى سَيِّدَنَا (عَيْسَى بِنَ مَرْيَمَ)

(الْمَسِيحِ) [٦٠]

يَرْتَقُ مَجْرَى الْحُبِّ

فِي خَاصِرَةِ الضَّمِيرِ ..

فِي تَنْفَسِ الْوَيْثَامِ [٦١]

وَوَجْهَهُ الصَّبُوحِ .. [٦٢]

يَبُثُّ فِي الْعَالَمِ رُوحاً بِاسْمِ ..

وَيَنْتَرُ الْوَرُودَ فِي بَحِيرَةِ السَّلَامِ [٦٣]

فَالْعَصْرُ قَدْ أَغْرَقَ شُطَانَ الْحَيَاةِ بِالْذَّمَاءِ [٦٤]

وَأَنْقَلَ الْأَكْتافَ بِاللَّعْنَةِ ..

بِالذَّمَارِ ..

بِالْفَنَاءِ [٦٥].



وَأَرْفَعُ الْكَفَّيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ [٦٦]

أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ شَيْطَانِ عَصْرِ الْكُفْرِ ..

وَالْفُجُورِ ..

وَالْبَغَاءِ [٦٧].

أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ شَيْطَانِ عَصْرِ الْأَنْحِرَافَاتِ

وَعَصْرِ الزَّنْدَقَةِ [٦٨].

لَوْلَاهُ مَا عَمَّ الشَّقَاءُ ..

وَالْبَلَاءُ

وَالْوَبَاءِ [٦٩]

أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ شَيْطَانَةِ الْإِنْسِ ..

وَمِنْ شَيْطَانَةِ الشَّيْطَانِ [٧٠]

جُنْدُهُ الْمُرْتَزِقَةَ [٧١]  
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَعْقِدُونَ صَفْقَةً  
وَيَنْصِبُونَ أَلْفَ أَلْفِ مِشْنَقَةٍ [٧٢].  
أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِمَّا هَبَّ [٧٣]  
أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِمَّا دَبَّ [٧٤]  
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ [٧٥]  
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الطَّاغُوتِ وَالطُّغْيَانِ [٧٦].



وَأَرْفَعُ الْكَفَّيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ [٧٧]  
أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِمَّا أُنجِبَتْ حَضَارَةٌ..  
(النَّابِلِم) .. و(الْفُسْفُور) .. و(النَّتْرُون) [٧٨]  
فِي قَرْنِ الْعَشْرَيْنِ [٧٩]  
مِنْ عَصْرِ قَتَلَ النَّاسِ بِالْأَلْفِ وَبِالْمِائِيْنَ! [٨٠]  
مِنْ عَصْرِ غَزَوْ الْكُونِ ...  
لَاتَخَاذِهِ قَاعِدَةَ حَرْبِيَّةٍ [٨١]  
مِنْ عَصْرِ تَصْدِيرِ الْمُخَدَّرَاتِ ..  
وَالْأَفْيُونِ ..

وَالْمُورَقِيَيْنِ [٨٢].

عَصْرٍ انْتَحَارِ الْيَافِعِيْنَ [٨٣]  
مُنْذُ اسْتَجَدَّ الرَّقُّ ..

وَالْتَمْيِيزِ ..

وَأَسْتَبَاحَةَ الْمُلَوَّنِيْنَ [٨٤].



أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ اللَّعِينِ [٨٥]  
إِنْ لَمْ يَعُدْ لِمَنْبَعِ الْعَقِيدَةِ السَّمْحَاءِ [٨٦]  
إِنْ لَمْ يَعُدْ لِرَافِدِ الشَّرِيعَةِ الْغَرَاءِ [٨٧]  
إِنْ لَمْ يَعُدْ لِلدِّينِ [٨٨].



وَأَرْفَعُ الْكَفَّيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ [٨٩]

مُسَافِرًا بَيْنَ مَحَطَّاتِ الرُّكُوعِ..

وَالسُّجُودِ..

وَالْقُعُودِ..

وَالْقِيَامِ [٩٠]

لَاخْتِمَ الصَّلَاةَ بِالسَّلَامِ (([٩١])).

### المجال التحليلي للقصيدة :

إنّ "الحواس" – كما هو معروف – أدوات الإنسان في التواصل مع العالم الخارجي، وكذلك الداخلي؛ فنحن – كما نعيش الخارج ونتأثر به – كذلك هو الحال مع أعماقنا الروحية والذهنية، والأداة التي تتوسّط في نقل هذه المؤثرات الخارجية والداخلية هي الحواس؛ وهذه الحواس ليست أدوات مجردة ناقلة، وإنما هي كيانات مادية مستقلة تتمتع بخاصية أصيلة؛ وهي قدرتها على التعايش والاستمتاع، وينعكس فعلها هذا تدرجاً فينا؛ فنقوم بتفسير هذه الالتقاطات وتأويلها طبقاً لقوة مصدرها أو ضعفه.

إنّ النصّ الشعريّ الذي نحلّه الآن يستفيد كثيراً من الطاقة الدلالية التي تفرزها الحواس أو تختزنها عندما تتراكم بنويّاً في نصّ جمليّ، وتركيزنا الأساس ينصبّ على المؤثرات الروحية ذات المنحى العباديّ أو الاتصاليّ؛ لتشكيل ما إن صحّت تسميته بـ "فضاء التقديس الإلهي"، وهو فضاء روحي يتشكل من فضاءات متعدّدة تتغمر فيها الذات الشعريّة (موضوع التأثير)، وتحرّرها لازمة تتقدّم كلّ وحدة شعريّة نصيّة، وباستثناء الوحدة الشعريّة الثانية التي تبدأ بـ (تكبيرة الإحرام) فإنّ مجمل الوحدات الشعريّة التي عددها ثماني وحدات تبدأ بـ: (وأرفع الكفّين في تكبيرة الإحرام). ونحن بطبيعة الحال ندرك الفرق الدلالي بين "تكبيرة الإحرام" وبين: (وأرفع الكفّين في تكبيرة الإحرام) إذ نفهم في الأول أنّ الحديث ينصب على "الموضوع" وماهيته وطبيعة خصائصه النوعية، ونفهم من الثانية معنى الاستسلام والخضوع التام للموضوع، فالذات هنا أسقطت كلّ أدوات التحديّ البشرية بمجرد "رفع اليدين" وتلفظ كلمة التكبير: "الله أكبر". إنّ الذات عندما تتحدّث عن موضوعها ربّما تكون منفصلة عنه من حيث التأثر من عدمه، ولكنها عندما تمارسه – وهي مستشعرة لعظمته وهيمنتته على كيانها – فإنّها سرعان ما تتماهى معه،



وتذوب في تفاصيله ذات التأثير النفسي البالغ، وهذا ما حصل فعلاً للذات الشعريّة التي ما برحت تُكرّر هذه اللازمّة حتّى يستمرّ معنى التماهي، ومن ثمّ الانعكاسات الخارجيّة المتأثّرة به.

إنّ هذه الانعكاسات السيكلوجيّة لا تتحرّك من الخارج إلى الداخل ولا بالعكس، وإنّما هي حركة داخلية/خارجية دائبة، تكون حينها منابع الإحساس الجسميّة متساوقة معها، وملتبسة بها، وضحيّة لها. ذلك أنّه بمجرد (رفع اليدين/ في تكبيرة الإحرام) تتغيّر أشياء كثيرة؛ نذكر منها:

١- انفصال الذات عن الواقع العملي؛ حيث تُقلّ الأبوابُ ويتوقّف الكلام:

(( وأرْفَعُ الْكَفَّيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ [١]

تَتَغَلَّقُ الْأَبْوَابُ دُونَ الْعَالَمِ الْمُرْتَبِيِّ..

تُقَلِّ الشِّفَاهُ... لا كَلَامٌ [٢])).

٢- تحرّك الذات نحو العالم الروحيّ من أجل التماهي معه، وهذا يفسّر تدفّق المشاعر وإزدحام الهواجس كلّما استغورت الذات موضوعها العبادي:

(( يُشْرَعُ الْمَحْرَابُ نَحْوَ الْقَيْلَةِ..

النَّوْافِذُ الْمُرْجَاةُ [٣]

بِزَحْمَةِ الْهَوَاجِسِ اللَّطَافِ..

بِنَدِيقَةِ الْمَشَاعِرِ الرُّوحِيَّةِ [٤] ))

\*.\*.\*

(( بِصُحْبَةِ الْمَلَائِكَةِ ! [١٢].

تُسَبِّحُ الْعُرُوقُ بِاسْمِ اللَّهِ

وَالنَّوَاشِرُ الْعَمِيقَةُ الْمَجْرَى [١٣] ))).

٣- استرجاع الماضي عبر الذكرى ومن خلال "الرؤيا".. هذه الرؤيا ليست تاريخاً يتوارد في الحاضر، وإنّما هي معيشٌ لحظويّ يصاحبه استشعارٌ محموم لكلّ جزئية منه، وهو في نهاية المطاف يتجاوب من حيث البنية والحادثّة والدلالة مع كثير من الإفعال الحاضرة؛ فيكون لدينا نوعٌ من التوازي بين الحدث التاريخي/الدينيّ (نار إبراهيم الباردة)؛ وإحراق المؤمنين في السجون.. وكذلك الحال أيضاً مع رؤيا (موسى) وعصاه؛ وبده البيضاء المانحة للقوة والإقدام، وهي إدوات تُعينُ (موسى) على استئصال الشرّ المتجسّد في (فرعون) وأشباهه من الطغاة في مختلف العصور. ويتدفّق مجرى (الرؤيا) ليقف عند سيّدنا (عيسى/ المسيح)؛ وهنا يكون التوازي

بين معنى الحب والاستسلام من جهة؛ وبين معنى الحرب والدماء والدمار من جهة أخرى، وهو توازن من نوع استمراري لا يؤدي إلى الاتصال مُطلقاً. بل هو يؤكد الحضور لكليهما مع توقع التقاطع عند المصادمة.

٤- توجيه نقدٍ حادٍ للواقع العملي، وتحديد ثيمة القصد الشعريّ بـ(العون الإلهي المتأتي من خلال صيغة الإدراج بين الفاعل والموضوع).. ويتجلى هذا المعنى في الأبيات التالية:

(( أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ شَيْطَانِ عَصْرِ الكُفْرِ ..

وَالْفُجُورِ ..

وَالْبَغَاءِ [٦٧].

أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ شَيْطَانِ عَصْرِ الانْحِرَافَاتِ

وَعَصْرِ الزُّنْدَقَةِ [٦٨].

لَوْلَاهُ مَا عَمَّ الشَّقَاءُ ..

وَالْبَلَاءُ

وَالْوَبَاءِ [٦٩].

أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِنْ شَيْطَانَةِ الْإِنْسِ ..

وَمِنْ شَيْطَانَةِ الشَّيْطَانِ [٧٠].

جُنْدُهُ الْمُرْتَزِقَةُ [٧١]

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَعْقِدُونَ صَفْقَةً

وَيَنْصِبُونَ أَلْفَ أَلْفٍ مِشْنَقَةً [٧٢].

أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِمَّا هَبُّ [٧٣].

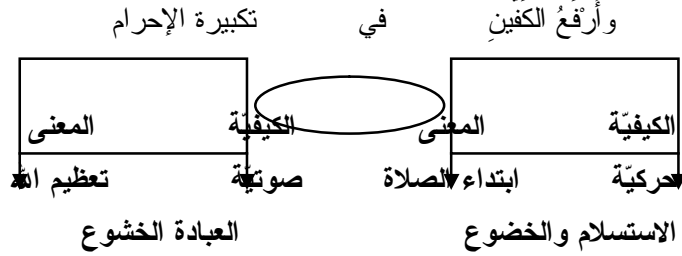
أَعُوذُ بِاسْمِ اللَّهِ مِمَّا دَبُّ [٧٤].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ [٧٥].

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الطَّاعُوتِ وَالطُّغْيَانِ [٧٦]).

٥- تفسير حدث الانفصال عن الواقع والتماهي مع الفضاء الروحي بسبب عدمية الواقع الفعلي وتجاوزه لكل مقتضيات الحياة السليمة وتحوّله إلى غاية مرعبة؛ تنهار فيه كل قيم الأخلاق والإنسانية.

هذه هي أهمّ المعطيات الناشئة عن عملية (رفع اليدين/ في تكبيرة الإحرام)، وهي تعبّر عن حدث نفسيّ ومادّيّ في آن، ذلك أنّ التفسير المتوقّع لهذه العملية يحرّر لنا المخطّط الآتي:



هذه هي المرجعية العامة لهذه العبارة: (النصّ/ العنوان)؛ التي تُلَفِّظُها الذاتُ الشرعيّة من حينٍ لآخر للمحافظة على صحّة العبادة ومعناها؛ ولاستحضار جزئياتها عبّر الخشوع التامّ للمعنى، والاستسلام للافرازات المعنويّة الناشئة عن حساسيّة الذات إزاء موضوعها، وتبلغ هذه الحساسيّة ذروتها عند رفع اليدين في "تكبيرة الإحرام"؛ وصولاً إلى تكملة نهايتها الهادئة في (التسليم).. والتسليم في خاتمة الصلاة يمثّل الخطّ الفاصل بين لحظات النشوة الخاشعة في محراب العبادة (الحركيّة/ الروحيّة).. وبين الصحوّة من هذه النشوة؛ والانتباه إلى الواقع من جديد:

(( وأرفعُ الكفَّينِ في تكبيرة الإحرام [٨٩]

مُسَافِرًا بَيْنَ مَحَطَّاتِ الرُّكُوعِ..

وَالسُّجُودِ..

وَالْقُعُودِ..

وَالْقِيَامِ [٩٠]).

ولكننا — من جهة أخرى — لو طالعنا المدوّنة النصّيّة بخصوص المعنى النصّي لـ (تكبيرة الإحرام) نجد أنّ الذات الشرعيّة الغارقة بلحظات النشوة الخاشعة تعطي مدلولاتٍ إضافيّة لهذا التركيب؛ حيث أفردت له مقطوعةً شعريّة كاملة:

(( تكبيرة الإحرام [٢٤]

لَيْسَتْ سِوَى تَلْوِيحَةِ الْوَدَاعِ

لِلْعَوَالِمِ السُّفْلِيَّةِ [٢٥]

وَالْجَهْرُ بِالْحَمْدِ جَوَازُ السَّفَرِ الْبَعِيدِ [٢٦]

أَقْمَارُهُ تَشْرُدُ مِنْ مَدَارِهَا

تَغَوَّرُ فِي الْأَعْمَاقِ..  
 فِي السَّيِّمِ..  
 فِي الْوُجُودِ [٢٧]  
 فَيَصْنَعُ الزَّمَانَ فِي فَسْحَتِهَا الْمَكَانَ [٢٨].  
 يَا صَحْوَةَ الضَّمِيرِ [٢٩]  
 يَا وَقْدَةَ الذَّهْنِ اتْرُكِي مَرَكِبِي الصَّغِيرِ [٣٠]  
 يَمُخِرُ فِي أَسْرَعَةِ النَّشْوَةِ  
 خَلْفَ سَاحِلِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ [٣١].

ونستطيع أن نوجز هذه المدلولات عبر الترسيم الآتية:



### الحواس كمؤثر انعكاسي:

١- السماع/ (صوت الترتيل): تلتقط الأذن التلطفات الصوتية العبادية ذات التأثير النفسي البالغ وهذه الأصوات حال ما تنعكس في المنابع الإحساسية والزمانية فإن أثرها يطال كل الجزئيات الجسمية حتى الدقيقة منها (الشعرة)؛ حيث تنتصب من موقعها المسامي بفعل القشعريرة التي تسربت في كل أنحاء الجسم بفعل قوة الانتصاب يُفسر المعنى والصوت. وهذا بوصفه نوعاً من الاستعداد والانصياع لأمرية الفعل العبادي.

وَيَهْدُرُ التَّرْتِيلُ فِي الْأَرْوَقَةِ الْمُبَارَكَةِ [٨]  
 فَتَشْرَبُ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْ مَكْمَنِ الْمَسَامَةِ الْمُفْقَاةِ [٩]  
 بِهَامِشِ الْجِسْمِ الَّذِي اجْتَاخَتْهُ قَشْعَرِيرَةٌ  
 فَغَلَقَتْ مَسَالِكَهُ [١٠].

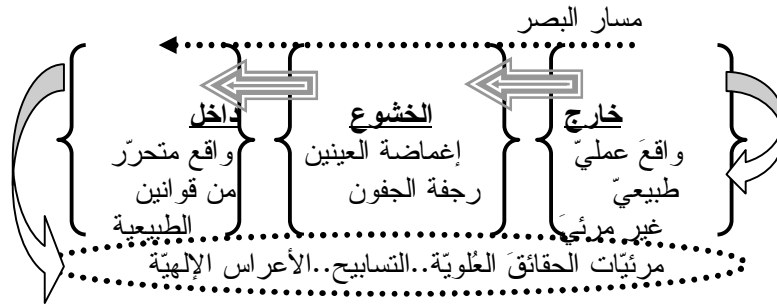
.....

(( تَسْبِحُ الْعُرُوقُ بِاسْمِ اللَّهِ  
وَالنَّوَاشِرُ الْعَمِيقَةُ الْمَجْرَى [١٣]  
فِي دَاخِلِ الصَّدْرِ الَّذِي يَعْشَقُ ذِكْرَ اللَّهِ  
فِي هَذَاةَ لَيْلٍ..  
يَصِلُ الرُّكُوعَ بِالسُّجُودِ  
وَالصَّلَاةَ بِالصَّلَاةِ [١٤] )).

كذلك الحال مع (اللسان) المتلفظ بالدعاء المصحوب بالفعل الحركي: (أركان الصلاة وهيئاتها) هو الآخر يُدِيمُ – عبرَ الدعاء – عُرَى الخشوع بالتواصل مع الأجواء الروحية. ٢- البصر/(الخشوع): إنَّ الخشوع، والاستسلام بالمعنى الروحي/ العبادي يحوّل مسارَ البصر من الخارج إلى الداخل.. إننا لا نرى الواقع العملي، بل نرى واقعاً آخر أكثر حيويّة واندفاعاً وتحرراً من قوانين الطبيعية. إنَّها إغماضة العينين.. ورجفة الجفون.. وهي إشارة أكيدة على تحويل الرؤية من الخارج إلى الداخل. هذا الداخل الذي نرى فيه الحقائق العُلويّة والتسابيح والأعراس الإلهية:

(( بِعَمَضَةِ الْعَيْنَيْنِ.. أَوْ بِرِعْشَةِ الْجُفُونِ [١٨].  
فِي سَامِرِ الْحَقَائِقِ الْعُلُويَّةِ [١٩]  
تَقِيمُ فِي أَنْفِلَاتِهِ الْأَمَادِ..  
أَعْرَاسَ التَّسَابِيحِ الْإِلَهِيَّةِ [٢٠] )).

ونحن نبصر كلّ هذه الأشياء عبرَ المصابيح السماوية المتوهجة بفعل الشوق والإشراقات الروحية:



ويتوسّع مسارُ الرؤيةِ البصريّةِ ليتحوّل إلى (رؤيا) توحى بالحاسّة السادسة المتعلّقة بالحدس والتوقّع، وفي هذا الفضاء نطالع الذات الشعريّة وهي تُجري سلسلةً من المقارنات المتوازية بين فعل التاريخ الدينيّ وبين الفعل الحاضر (الحديث أو المعاصر) ؛ ففي إطار فعل التاريخ الدينيّ وجدنا سيّدنا (إبراهيم/ عليه السلام) يُحرّق بنار كانت (باردة)، وفي إطار الفعل الحاضر (الحديث) نجد المسلمين يُحرّقون في السجون بنار (باردة) كذلك، وبإشارة من النصّ نفهم أنّ هذه البرودة متأثّيةٌ بسبب من (الدعاء المستمرّ)، وكذا الحال بالنسبة لرؤيا (موسى) و(عيسى) عليهما السلام.

المسألة إذن ليست مجرد حركةٍ وصوت يقتصران على رفع اليدين في "تكبيرة الإحرام"؛ وإنما هي سباحة في عالم الملكوت الإلهيّ عبر الصلاة برُمّتها: بلحظاتها.. وهيأتها.. ومعانيها.. وأدعيّتها.

إنّ الصلاة هي الأصل، وعلامتها الأساس هي "تكبيرة الإحرام"؛ لأنّها مؤشّرٌ علاماتيّ يُستدعى معناها وفعلها حالما تُدرج في الواقع الفعليّ كحدّث أو صورة مشهديّة، وهي أيضاً تُشيرُ إلى ذلك العالم الروحيّ الذي تحدّثت عنه الذات الشعريّة؛ وأحسّته في أعماقها وهي خاشعة متضرّعة متوسّلةً بقدرة الله عزّ وجلّ ومعونته التي لا تنقطع؛ كي تنقذها من هذا العالم الواقعيّ المليء بالشرّ والحقد والدمار.

وأخيراً نتساءل: هل لحظة الاندماج أو التماهي مع العالم الروحيّ هي لحظة هروب من وقع الحياة الأليم... أم هي لحظة ارتياح نفسيّ في ضوء معطيات مُرعبة ومنحرفة؟!.. أم هي لحظة تضرّع وتوسّل بالذات الإلهيّة؛ كي تنقذ هذا العالم من نفسه الشريرة؟.

## هوامش البحث

(\* ) تنظر دراساتنا النقدية الآتية :

- الخطاب النظري للأدب الإسلامي - قراءة نقدية : وهو منشور ضمن كتاب ملتقى البردة الأول للأدب الإسلامي، الموصل، ٢٠٠١.
- التراث والحداثة.. إجتزار أم فرار ؟ مراجعة نقدية للبنى الفكرية والأدبية واللغوية : بحث مقدم إلى ملتقى البردة الثاني للأدب الإسلامي، الموصل، ٢٠٠٢.
- الإسلامية الأدبية ومشكل التعايش مع العقلية المغارقة : بحث مقدم إلى الندوة المعنونة بـ "المناهج الغربية - الممانعة والمناقفة، الموصل، ٢٠٠٤.

- الخطاب الأدبي الإسلامي – الهوية التاريخية والموقف النقدي : بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي السنوي الثالث، كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٦.
- (١) – ينظر، بروكلمان والأدب الإسلامي : د. حسن الإمراني، مجلة المشكاة، المغرب، ع (٢٧ – ٢٨)، ١٩٩٨، ص٧٦، ٧٩، ٨٠. وينظر أيضاً حوار مع الشاعرة عليّة الجعار، مجلة الأدب الإسلامي، السعودية، ع (٧)، ١٩٩٥، ص١٤، حيث تقول : "إن الأدب الإسلامي بدأ منذ أمر رسول الله ﷺ شاعره حسان بن ثابت بهجاء مشركي وكافري قريش".
- (٢) الإسلامية والمذاهب الأدبية : د. نجيب كيلاني، مكتبة النور، طرابلس، ط١، ١٩٦٣، ص٤٧.
- (٣) جماليات الأدب الإسلامي: محمد إقبال عروي، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦، ص٢١٩ – ٢٢٠.
- (٤) الثقافة الإسلامية : مجموعة مؤلفين، دار المناهج للنشر والتوزيع، الاردن، ط١، ١٩٩٦، ص٧٠.
- (٥) الفن العربي الإسلامي : مجموعة مؤلفين، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٤، ص١٦٨.
- (٦) الفن والانسان : د. عز الدين اسماعيل، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٧٤، ص٧٤ – ٧٥.
- (٧) نحو آفاق شعر اسلامي معاصر : د. حكمت صالح، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص٩٠.
- (٨) المعلومات مأخوذة من الأنترنت على الموقع :  
<http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/adam-1/story-2.asp>.
- (٩) مفهوم الأدب الإسلامي – اشكالية البعد التراثي : د. عماد الدين خليل، مجلة الادب الإسلامي، السعودية، م (١٢) ع (٤٥)، ٢٠٠٥، ص١٦.
- (١٠) خصائص العقلية الإسلامية في الأبداع الفني : محمد رشدي عبيد، مجلة الادب الإسلامي، السعودية، ع (٧)، ١٩٩٥، ص١٠٣.
- (١١) من أسلمة الأدب العربي إلى انشاء أدب اسلامي : انور الجندي، مجلة الادب الإسلامي، السعودية، ع (٧)، ١٩٩٥، ص٣.
- (١٣) جماليات الأدب الإسلامي : محمد اقبال عروي، ص٥١.

(١٤) التراث لدى محمد أركون : د. ماجدة حمود، مجلة المعرفة، سوريا، ع(٤٦٧)، ٢٠٠٢، ص ١٨٣.

(١٥) ديوان: "حيّ على الفلاح": للشاعر حكمت صالح، القصيدة رقم ٦، ص ٥٤-٦١، دار البشير، عمّان، ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، نشرت القصيدة أيضاً في مجلّة "فلسطين المسلمة"، ع/١٠، س/١٠، ربيع الثاني ١٤١٣، تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢م، ص ٥٢.